

الاكتساب اللغوي عند الطفل

بين علماء اللسان وعلماء السلوك

د/ هشام خالدي

كلية الآداب واللغات

جامعة أبي بكر بلقايد (تلمسان)

تقديم:

لقد كان ولا زال اهتمام اللغويين والعلماء باللغة البشرية، لدراساتها وتحليلها وكشف خباياها، وأسرارها الغامضة في الحياة البشرية ومن بين الأمور التي لفتت اهتمامهم في هذا الموضوع (اللغة) جانب الاكتساب وأبعاده المختلفة، والعوامل المساعدة على هذا الاكتساب.

ومما هو ملاحظ أن الاهتمام بهذا الموضوع ليس جديداً عند علماء النفس أما علماء اللغة التقليديون فإنهم لم يهتموا بهذا الموضوع إلا بصورة ظرفية، هذا مع بعض الاستثناءات النادرة والتي تشكل في الحقيقة استثناءات مهمة: جسيارسن 1912، جاكوبسون 1941- 1949، غريغوار 1937- 1947، زيوبولند 1939- 1947- 1949، غوزدن 1949.⁽¹⁾

فالبحوث والدراسات اللغوية في هذا المجال لا تقوم على أسس ودعائم قديمة وهذا ما يدل على أنه لم تكن هناك دراسات وبحوث مكثفة للغويين القدماء بخصوص الاكتساب اللغوي، فالاهتمام بالطفل وبكيفية اكتسابه للغة الأم والعوامل المساعدة على ذلك تعد دراسات حديثة تقريبا.

لقد عُنيَت نظريات اكتساب اللغة بالعوامل التي تساعد الطفل على اكتساب اللغة، فالطفل يجد في مراحل حياته كلها رصيذاً من الكلام الذي تتلقاه أذناه وعليه أن يكتسب هو ذلك الكم نسقاً لغوياً عقداً معقداً ومجبراً ومنتجاً، وهذا لأجل التواصل مع بيئته ومجتمعه حيث إن الطفل يكتسب هذا الكم كله في مدة زمنية قصيرة جداً، بغض النظر عن أنماط اللغة واختلاف مكوناتها التي يتعرض لها، وهذا دليل واضح على أن الطفل يولد مزوداً بقدرة ذهنية وفطرية تمكنه من اكتساب اللغة باستمرار ثم استيعابها تدريجياً.

وبهذا فإن أصحاب نظريات الاكتساب قد أبدعوا عدّة محاولات وإن كانت محاولات قاصرة فمن الواضح أن قدرات الطفل في بعض نواحيها الخاصة ومحاولاته لاكتساب اللغة الأم، تتبع في عمومها من داخله ومن حوله كذلك فالعمليات العقلية والنمو العصبي الفيسيولوجي والنمو الإدراكي والبيئة اللغوية المحيطة بالطفل كلها مجتمعه لها أثر في اكتساب اللغة.⁽²⁾

وعليه فهناك عدة عوامل تساهم في عملية اكتساب اللغة عند الطفل، وهناك الكثير من العوامل تشترك مع بعضها لكي تتحقق عملية الاكتساب، وهذه الأخيرة شغلت بال العديد من اللغويين والنفسانيين الذين كانوا راغبين في البحث عن طبيعة هذه العملية النفسية واللغوية المعقدة محاولين بذلك الإجابة عن التساؤل التالي:

كيف يستطيع الطفل الصغير الذي لا يتجاوز عمره سنتين أو ثلاثاً تعلم تلك الآليات بسهولة؟
طُرح هذا التساؤل وكانت المحاولات مستمرة للإجابة عنه واختلف المختصون والمفكرون في ذلك وفقاً لاختلاف منطلقاتهم الفكرية والفلسفية.

نأخذ كعينة رأي كل من "واطسن، سكينر، وتشومسكي وجون بياجية":

أولاً، علماء السلوك،

1/جون واطسن: هو من أنصار الاتجاه السلوكي حيث يرى أن علم النفس يجب أن يبنى على المنهج التجريبي المعتمد في العلوم الطبيعية وقد حدد موضوع علم النفس في دراسة سلوك الكائن الحي الخارجي، ذلك السلوك الذي يمكن إخضاعه للملاحظة، مثلما يجري في حينه ويمكن قياسه من حيث الزمن الذي يستغرق أداءه وتحليله إلى أجزاء متعددة، وتعديله أو تغييره وضبط الشروط التي تؤدي إلى ظهوره من ثمة التحكم في هذا الظهور نفسه من خلال توفير شروطه.⁽³⁾

ولا يعني تأكيد السلوكيين لهذه المسألة إنكارهم لوجود الوعي والشعور ولكنهم يرفضون اعتباره موضوعاً للدراسة لأنه داخلي لا يخضع للملاحظة والقياس ومن ثمة فإنهم ينتقدون الاتجاهات التي تفسر سلوك الكائن الحي بإرجاعه إلى دوافع وحاجات داخلية، فإذا كانت الحاجة قادرة على تفسير السلوك فهي لا تقدر تفسيراً كافياً إلا إذا تحدد الدافع واتضحت أسبابه، تعطي النزعة السلوكية.

ونظراً إلى أن لاعتمادها على التجريب، أهمية بالغة للمحيط في تفسير سلوك الكائن الحي فالمحيط هو الذي يثير إجابات الكائن الحي بفضل المثيرات التي يوفرها وفهم سلوك هذا الكائن لا يتم إلا بربطه بالمثيرات الخارجية التي يتلقاها من هذا المحيط، وعلى الرغم من تعدد التيارات العلمية داخل التوجه السلوكي، فيمكننا القول إن مفهوم التعلم يحدد عند معظمها بتغيير وتعديل في سلوك المتعلم نتيجة تعرضه لتأثيرات المحيط، ويصدق هذا التعريف على التعلم التلقائي (الاكتساب) الذي يحدث خلال التفاعل اليومي بين الفرد والمحيط الذي يعيش فيه وعلى التعلم الذي يجري في وضعية محددة تتشد تحقيق غايات معينة، وبصفة عامة يمكن القول إن التعلم من المنظور السلوكي عملية ناجمة عن التفاعل بين الكائن الحي والمحيط، فالمحيط يتضمن العديد من المثيرات التي تتطلب من الكائن الحي استجابات معينة، ويمكن أن يتكرر حدوث هذه الاستجابات إذا لقيت تديماً خارجياً.⁽⁴⁾

2/ سكينر: يصف هذا الأخير موقفه السلوكي بالراديكالي، ويقوم موقفه هذا على ضرورة التعرف على الوقائع الذهنية أو العقلية باعتبارها نماذج داخلية، ولكنه يعارض ويرفض مثل أستاذه واطسن أن يفسر سلوك الكائن الحي بالعودة إلى البنيات الذهنية الداخلية وفي ذلك يقول: «عندما نفسر ما يقوم به الفرد بما يحدث في داخله، فإن البحث يتوقف بماذا تُفسّر التفسير؟».⁽⁵⁾

لقد اهتمنا أثناء قرنين ونصف بالمشاعر وبالحياة العقلية، ولكننا بيناً مؤخراً بعض فوائده تحليل أدق لدور المحيط، إن جهل هذا الدور قد ترك المكانة الأولى لأوهام ذهنية وقد خلدت عن طريق التطبيقات التفسيرية التي نجمت عن هذه الأوهام.⁽⁶⁾

وبهذا يدعو سكينر إلى تحليل السلوك في ضوء الظروف وشروط قابلة للملاحظة وبذلك يقوم الاتجاه السلوكي لديه، على ما يسميه بالتحليل الوظيفي، وهو تحليل يربط سلوك الكائن الحي بشروط محيطه، ومن هنا يحتل المحيط مكانة بارزة في نظريته، ولكنه يؤكد في الوقت نفسه أهمية العوامل الوراثية التي توفر عليها الكائن الحي منذ ولادته.

ترجع نظرية سكينر في السلوك الكلامي إلى نظريته العامة عن التعلم إذ يقول «إن الجهاز العضوي ينتج عنصراً فعالاً دون مثير ملحوظ ويتم تعلم هذا العنصر بواسطة التعزيز فإذا قال الطفل أريد ماءً وقدم إليه ما يريد فإن هذا السلوك يتعزز ويصير اشتراطياً بالتكرار».⁽⁷⁾ فحسب رأي سكينر، السلوك اللغوي يكتسب انطلاقاً من تفاعل ثلاثة عناصر: تشبيه - استجابة - تثبيت.

يؤكد سكينر في كتابه "السلوك الكلامي" أن السلوك الكلامي يتعزز بتوسط أفراد البيئة المحيطة بالطفل ويضع بالتالي على عاتق هذه البيئة مسؤولية العمل على جعل الطفل يكتسب لغتها، فالأهل في تصوره هم مصدر المعطيات اللغوية التي يحاكيها الطفل وعملية التعزيز التي يقوم بها الأهل هي العملية اللازمة لتوفير العادات الكلامية.⁽⁸⁾

لو نتمعن في رأي كل من واطسن وسكينر نجد مبالغاً فيه - حسب رأي ميشال زكريا -

إذ حسب رأيهما كيف نفسر استعمال الطفل لبعض الجمل التي لم يسمعها من قبل؟

إن عملية الفهم تسبق عملية التفكير، أي أن الطفل يفهم معنى الكثير من المفردات قبل أن يتلفظ بها، ومعنى هذا أنه اكتسب هذه المفردات أو العبارات فهماً دون أي تدعيم، ولا يعني هذا أن التدعيم لا قيمة له في تعلم اللغة، فقد يكون من العوامل التي تشجع الطفل على الإكثار من التكلم، ويساعد بالتالي بطريقة غير مباشرة على الإسراع في نمو لغة الطفل، غير أن التشجيع على التكلم شيء والادعاء بأنه سبب اكتساب اللغة شيء آخر، كثيراً ما يأخذون حتى في استعمال اللفظة التي يستعملها هو، ورغم هذا فإنه يتخلى تدريجياً عن اللفظة المدعومة التي يسمعها واستعملها طويلاً ويتحول إلى استعمال لفظه الكبار.⁽⁹⁾

إن المفردات التي يمكن للطفل أن يتعلمها عن طريق الربط بين الدال والمدلول هي المفردات الدالة على الأشياء المحسوسة، فكيف يمكن في ضوء هذه النظرية تفسير تعلم الطفل للعديد من المفردات ذات المعاني المجردة.

يسمع الطفل الكثير من الكلمات خاصة الوظيفية منها ك: الذي، أو... دون أن يتعلمها لعدم إدراكه المفاهيم التي تعبر عنها، وهو أمر لا تفسير له في نطاق النظرية السلوكية، بالإضافة إلى أن الكثير من الجمل التي يسمعها، لا تتكرر بحذافيرها.⁽¹⁰⁾ ومن بين الذين عارضوا فكرة هؤلاء (واطسن وسكينر) أشد معارضة تشومسكي.

ثانياً: علماء اللسان.

1- نوام تشومسكي: يرى بأن المبادئ العقلية وحدها هي الكفيلة بتفسير عملية الاكتساب فالطفل يولد في نظره وهو مزود بقدرات فطرية تؤهله لتقبل المعلومات النحوية، ولتكوين بنى اللغة، أي أن له قدرة على تكوين قواعد لغته من خلال الكلام الذي يسمعه، فهو يمتلك بطريقة لا شعورية القواعد الكامنة ضمن المعطيات النحوية التي يسمعها، ويسمى تشومسكي هذه القدرة بالملكة اللغوية، وهي ملكة فطرية بديهية لا شعورية حسب رأيه.

لقد خصص تشومسكي فيما يتصل باللغة والعقل الإنساني كتاباً مستقلاً أسماه "اللغة والعقل" وفي هذا الكتاب يرى أنه من الأفضل أن ننظر إلى اللغة في ضوء الأصول النفسية والعقلية ولذلك يقترح العودة إلى هذه الأصول وخاصة تلك التي ظهرت عند فلاسفة مثل ديكارت وغيره من الفلاسفة العقليين في القرن السابع عشر أو كما يطلق عليه قرن العباقر، ومن ثم ينتقد تشومسكي بشدة علماء اللغة الذين ابتعدوا بدعوى الموضوعية والعلمية عن المبادئ النفسية والفلسفية ونادى بضرورة العودة إلى هذه المبادئ وإعادة اكتشافها مرة أخرى وتبني منطلقاتها العقلية ولذلك نراه يرفض النظرية السلوكية وتطبيقاتها على اللغة ويرى أن هذه النظرية لا تفرق بين السلوك الإنساني والسلوك الحيواني، كما يرى أن تطبيق هذه النظرية على اللغة يحوّل الإنسان إلى شيء يشبه الآلة، بينما اللغة هي المميز الوحيد بين الإنسان من ناحية والآلة والحيوان من ناحية أخرى.⁽¹¹⁾

تتجسد العملية التي يقوم بها المتكلم من أجل صياغة جملة وفق مجموعة منتظمة من القوانين، وإذا كانت الملكة تتصف بطابع اللاشعور، فإن اللغة ترد إلى عملية تحقيق لا شعوري لسياق الكلام، من هنا نفهم اللغة على أنها آلية نظم ديناميكية التكلم، ونفهم القواعد على أنها التنظيم المحرك لهذه الآلية، ويميز تشومسكي بين الملكة اللغوية باعتبارها المعرفة الضمنية باللغة وبين الأداء الكلامي باعتباره الاستعمال الفعلي للغة ضمن سياق معين، فالملكة اللغوية هي التي توجه وتقود الأداء الكلامي، وكل أداء كلامي يخفي وراءه معرفة ضمنية تتعلق بالملكة اللغوية في لغة معينة، غير أن هذا الأداء لا يمكن أن يعكس بصورة مباشرة الملكة اللغوية لأنه قد ينحرف عن قوانين اللغة نتيجة عوامل خارجة عن إطارها، كالانفعال، الانتباه... يركز تشومسكي على طبيعة النمو العقلي عند الطفل، وعلى الملكة التي تقوده إلى اكتشاف قواعد لغته، وتجدر الإشارة إلى أن الطفل لا يمتلك في الحقيقة قدرات فكرية تؤهله إلى اكتساب لغته، وإنما بإمكانه اكتساب لغة إنسانية.⁽¹²⁾

تتوقف عملية الاكتساب عند تشومسكي على طبيعة نمو الطفل، لذلك فهو ينتقد فكرة التقليد وتعزيز التقليد اللذين بهما بُنيت النظرية السلوكية، والتي استقر عليها الفكر اللغوي كتفسير مقبول لعملية اكتساب الطفل للغة.

فهذه العملية (الاكتساب) تتطلق عند تشومسكي من أن الطفل يمتلك قواعد كلية كامنة لا تعمل إلا بتفاعلها مع المادة اللغوية التي يتعرض لها الطفل. ودور العائلة في نظره هو دور توسيعي فقط إذ أنهم يصححون له أخطائه وهو يسمع ويستتبط النظام الخاص بلغة الكبار.

غير أن المناقشات الواسعة والعنيفة أحياناً التي أثارتها نظرية تشومسكي سواء بأصولها النفسية والعقلية أم في رؤيتها لعملية اكتساب اللغة، قد زلزلت فعلاً من فكرة التقليد بحيث أصبح من الصعب الآن اعتبار التقليد عند الأطفال عاملاً حاسماً في عملية كسب اللغة، لأن هناك جوانب أساسية في اللغة لا يمكن أن تكون عرضة للملاحظة المباشرة بحيث تخضع للتقليد مثل المعاني المتصلة بتركيب الجملة وشبه الجملة أي بعبارة أخرى المعاني المجردة للقواعد النحوية والصرفية والتي تعد جزءاً من القدرة اللغوية عند البالغين.⁽¹³⁾

فيا ترى هل تعرض رأي تشومسكي للانتقاد وهل أخفق في انتقاداته ؟

في هذا يقول وانريتش: «... ولكن اللغة لم توضع ليتكلمها فرد واحد وإنما هي استعمال اجتماعي، فمفهوم الملكة اللغوية إذن هو الذي يؤدي بنا إلى إعطاء اللغة ميزة منولوجية وهذه النظرة غير ملائمة وخاطئة لأنها تُقصي المشارك في الحوار الذي يمتلك الآخر ملكة لغوية خاصة به كثيراً ما تكون مختلفة عن تلك التي يمتلكها المتكلم في وضعية لغوية معينة، إن أدنى حد للغة في بعدها الاجتماعي، باعتبارها أداة للتواصل هو إذن شخصان. ويترتب عن ذلك أن المفهوم المنولوجي للملكة اللغوية ينبغي أن يعوض بالمفهوم الحوارية للملكة التواصلية».⁽¹⁴⁾

ويقول في هذا كذلك "دجرار": « إن أسباب الإخفاقات التي عرفتها نظرية تشومسكي عند تطبيقها في ميدان التعليم، في تعقيد وتجريد النحو التوليدي التحويلي وفي عدم توافق نماذجها، على الرغم من فعاليتها في وصف المسار اللغوي».⁽¹⁵⁾

تشومسكي فعلاً له فضل كبير في تطوير النظرية اللغوية ولكن هذا لم يمنع من وجود بعض السلبيات وبالتالي فإن نظريات المنبه والاستجابة في رأي تشومسكي لا تكفي لتفسير إمكانات الطفل في استخدام اللغة وفهمها. وأكثر من هذه فمن المسلم به أن لدى الطفل استعداداً للمهارة لغوية فطرية تسمى جهاز اكتساب اللغة، وهو ميكانيزم افتراضي داخلي يُمكن الأطفال من السيطرة على الإشارات القادمة وإعطائها معنى وإنتاج استجابة، وتقدم قواعد اللغة إلى الأطفال فيما يبدو بطريقة طبيعية حتى إذا كانوا ينتمون لمستويات شديدة الاختلاف من الذكاء والبيئة الثقافية، وتطاع القواعد في حدود معينة دون أن يظهر ما يدل على فهمها. ويزيد (تشومسكي) النظرة القائلة إن الإنسان فريد فيما لديه من استعدادات لغوية.⁽¹⁶⁾

2- جون بياجيه: تركز النظريات المعرفية على ارتقاء الكفاءة اللغوية كنتيجة للتفاعل بين الطفل وبيئته، وبالرغم من أنصار (بياجيه) لا يدعون أن النظرية المعرفية في الارتقاء

يمكن اعتبارها أيضاً نظرية صريحة في تفسير النمو اللغوي إلا أنها مع ذلك تتضمن المفاهيم والعلاقات الوظيفية الأساسية التي تسمح لها بالقيام بالدور التفسيري في هذا المجال أيضاً.

والنظرية المعرفية وإن كانت تعارض فكرة تشومسكي في وجود تنظيمات موروثه تساعد على تعلم اللغة إلا أنها في الوقت نفسه لا تتفق مع نظرية التعلم في أن اللغة تُكتسب عن طريق التقليد والتدعيم لكلمات وجمل معينة ينطق بها الطفل في سياقات موقفية فالإكتساب في رأي (بياجيه) ليس عملية شرطية بقدر ما هو وظيفة إبداعية.⁽¹⁷⁾

إن اكتساب التسمية المبكرة للأشياء والأفعال قد تكون نتيجة التقليد والتدعيم، ولكن (بياجيه) يمزج ما بين الكفاءة والأداء (وهو أحد محاور نظرية تشومسكي) فالأداء في صورة التركيبات التي لم تستقر بعد في حصيلة الطفل اللغوية، وقبل أن تكون قد وقعت نهائياً تحت سيطرته التامة، يمكن أن تنشأ نتيجة التقليد. إلا أن الكفاءة لا تكتسب إلا بناءً على تنظيمات داخلية تبدأ أولية، ثم يُعاد تنظيمها بناءً على تفاعل الطفل تبعاً لنظرية (بياجيه) المعرفية، ولكن عندما يتحدث (بياجيه) عن تنظيمات داخلية، فإنه لا يعني في الوقت نفسه ما يقصده (تشومسكي) من وجود نماذج للتركيب اللغوي، أو القواعد اللغوية، بقدر ما يعني وجود استعداد للتعامل مع الرموز اللغوية التي تعبر عن مفاهيم تنشأ من خلال تفاعل الطفل مع البيئة منذ المرحلة الأولى، وهي المرحلة الحسية الحركية.⁽¹⁸⁾

فاللغة في نظر بياجيه، الجذور نفسها التي هي اللعب الرمزي، فالطفل يلجأ أثناء هذا الأخير إلى استعمال الأشياء بوصفها رموزاً أو دلالات على أشياء أخرى، كذلك الشأن بالنسبة إلى كلمات الطفل الأولى التي تشبه رموزاً يمكن أن تقرن بالشيء، ولا تكون نظاماً وعندما يصير التصور ممكناً في غياب الشيء، يتم التطور عند الطفل من الرمز إلى الإشارة بمفهومها اللساني. وفي هذا يقول بياجيه: « عندما نتحدث عن التصور، فإننا نتحدث بالنتيجة عن وحدة الدال، الذي يسمح باستدعاء المدلول الذي يؤمنه الفكر ويشكل التأسيس الجماعي للغة من هذه الزاوية، العامل الأساسي في تكوين التصورات وتدامجها الاجتماعي».⁽¹⁹⁾

هكذا يكتفي بياجيه بربط اكتساب اللغة بالوظيفة الرمزية التي هي أوسع منها، والتي تجد أصولها في المحاكاة واللعب دون ذكر لدور العوامل الاجتماعية في ارتقاء هذه الوظيفة، وعلى الرغم من أن نظرية بياجيه لا تفسر عملية اكتساب اللغة بقدر ما تشرح عملية بناء المعرفة.⁽²⁰⁾

ولكن على الرغم من النتائج التي توصل إليها بياجيه كانت مهمة إلا أنه « يُعابُ عليه إقصاؤه البعد الاجتماعي للغة كونه لم يُعبر اهتماماً كافياً لدور المجتمع والعلاقات الاجتماعية». (21)

من هنا يتضح أن النمو بصفة عامة عند بياجيه ظاهرة طبيعية لدى كل الكائنات الحية، فهو بالنسبة للإنسان يبدأ من ساعة الحمل، ويتأثر نمو الجنين بالحالة التي تكون عليها الأم أثناء الحمل، وعندما يولد الجنين يصبح في عالم مختلف تمام الاختلاف عن العالم الذي كان يعيش فيه، وتتشط حواسه، وأجهزته وأعضاؤه لأداء الوظائف الحيوية الضرورية لبقائه، وتبدأ عملية التفاعل بينه وبين البيئة الجديدة التي يعيش فيها. (22)

فالطفل عندما يخرج إلى هذا العالم يكون غير مكتمل النمو من عدة نواح، فقواه العقلية تكون غير ناضجة وكذا بعض الجوانب العضوية، ولكي يتحقق ذلك في حياة كل طفل لا بد لهذه النواحي أن تكتمل.

كما أن النمو في معناه العام يمثل عملية تحول وتغير مستمرة تطراً على حياة الإنسان منذ طفولته حتى يصل إلى تكوين جسمي ونفسي يميز الإنسان الناضج الراشد على سلسلة متتابعة متماسكة من تغييرات تهدف إلى غاية واحدة هي اكتمال النضج. كما أن التتابع والتماسك يتم حسب قوانين طبيعية خضع لها النمو فكل فترة من فترات النمو عند الطفل يحدث فيها شيء معين، أو نوع من التقدم، وذلك من خلال الحركات والوضعيات المختلفة التي يقوم بها من (حبو، جلوس، ومشى... إلخ). (23)

وما يمكن قوله كذلك حول النمو إنه عملية لا تسير بنفس السرعة عند كافة الناس فهي ليست متساوية. ولا تسير على وتيرة واحدة، فنجد أن هناك فترات نمو سريعة وأخرى بطيئة، فمثلاً فترة المهد، يكون فيه نمو الطفل سريعاً، ثم يتباطأ نوعاً ما، في المراحل اللاحقة، ثم يزداد بسرعة في فترة المراهقة ثم يتباطأ حيث يصل الإنسان إلى سن الرشد ومما هو ملاحظ كذلك أن جوانب النمو لا تنمو جميعها بمعدل واحد فهي تتم بصورة تدريجية وهذا ما يعكس معدل النمو اللغوي عند الطفل في مراحل الأولى، ونجد أن النمو كذلك يسير من العام إلى الخاص، ويظهر هذا جلياً في النمو الحركي ففي البداية يحرك الطفل جسمه دفعة واحدة، ثم بعد ذلك تنمو عضلات جسمه، ويصبح قادراً على الجلوس، ثم المشي، وبهذا نموه إلى حركات خاصة ومختلفة ومن خصائص النمو كذلك كونه عملية معقدة تتفاعل فيها الجوانب، فالنمو الجسمي يؤثر في النمو العقلي فهذان الجانبان لهما تأثير قوي في

النمو اللغوي للطفل، إما بالسلب أو الإيجاب، لذا فإنه لا يمكن فهم الطفل دون دراسة كل هذه الجوانب المختلفة للنمو.⁽²⁴⁾

إن اكتساب اللغة البشرية وتعلمها مرهون بنمو الجانب العضوي والعقلي عند الطفل وإن التمكن من تعلم اللغة وأدائها بصورة صحيحة ومن جميع مستوياتها (الصوتية، التركيبية والدلالية) لا يأتي هكذا فقط وإنما طبقاً لشروط بيولوجية معينة، تستلزم اللغة الإنسانية أعضاء طرفية ملائمة وجهازاً عصبياً ملائماً. إن الأساس العضوي الذي يميز اكتساب اللغة لا يعمل منذ الولادة كما أنه لا يبقى على الدرجة نفسها طوال حياة الفرد فالطفل الصغير الذي يتعرض لمحيط لغوي مستقر نسبياً لا يباشر التكلم دفعة واحدة، إذ يتحقق تطور اللغة غير تتابع لمراحل تتجلى فيه بوضوح الإمكانيات العضوية الكامنة والمتناهية باستمرار.⁽²⁵⁾

وهذا ما يثبت بوضوح أهمية هذا النمو في الاكتساب اللغوي، إذ لا يمكن للطفل في اكتساب وتعلم اللغة بدون هذا النمو، وهذا الاكتمال في النضج، حتى وإن كان يعيش في محيط لغوي جيد يمكنه من أداء لغته.

فمن خلال عرض نظريات الاكتساب اللغوي، يتضح أن هناك اتفاقاً حول أهمية مراحل نمو الطفل، منذ بداية استعداد الطفل الفكري لاكتساب اللغة حتى إعداد البيئة الاجتماعية والثقافة المحيطة بالطفل.

الخاتمة:

بناء على هذا نخلص إلى النتائج التالية:

1/ يبايحه الذي ينتمي إلى المدرسة السلوكية الذي يرى بأن اللغة تكتسب كسلوك، أما تشومسكي فهو يناقضه في ذلك ويرى أن اكتساب اللغة سلوك فطري... الخ.

2/ اكتساب الطفل بعض المفاهيم ونمو محصوله اللغوي.

3/ العلاقة بين النمو الجسدي والحركي المتعلق بأعضاء النطق والأعضاء الأخرى والنمو العقلي (إدراك، خيال، ذاكرة...) بالنمو اللغوي، إذ كلما نما الطفل جسدياً وعقلياً كلما زادت خبراته وقدرته على الكلام.

4/ إن اكتساب اللغة يمر عبر مراحل قسمناها إلى مرحلتين، ما قبل اللغة وهذا الطفل لا يتعلم مهارة التكلم دفعة واحدة بل يبدأ في البداية بالصراخ ثم المناغاة بعدها يبدأ بتقليد

الأصوات والمرحلة الثانية هي اللغوية حيث يتمكن الطفل من النطق ببعض الكلمات وتركيبها على شكل جمل.

5/ إن هذه المراحل التي يمر بها الطفل خلال تعلمه للغته من تلقاء نفسه بل بتضافر مجموعة من العوامل أهمها المحيط، بما فيه داخلي ويتمثل في الأسرة وأفرادها، إذ لهم الأثر الكبير عليه وخارجي المتمثل في وسائل الترفيه والروضة والمدرسة القرآنية لأن الطفل بطبعه ميال إلى ما يشد انتباهه.

قائمة المصادر والمراجع:

- 1/ حفيظة تازورتى: اكتساب اللغة العربية عند الطفل الجزائري، دار القصبه للنشر، الجزائر، 2003.
- 2/ خليل حلمي: دراسات في اللغة والمعاجم، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ط 1982.
- 3/ روي سي هجمان: اللغة والحياة والطبيعة البشرية، تقديم داود حلمي السيد، عالم الكتب، القاهرة، ط 1420 هـ/2000م.
- 4/ صالح عبد العزيز: عبد العزيز عبد المجيد: التربية وطرق التدريس دار المعارف مصر ط. 1983.
- 5/ كريمان بدير: الأسس النفسية لنمو الطفل، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط 1، 1990.
- 6/ مارك ريشل: اكتساب اللغة، ترجمة كمال بكداش، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان ط 1404/1934.
- 7/ محمد المصطفى زيدان ومحمد السيد الشربيني: سيكولوجية النمو مكتبة النهضة المصرية القاهرة ط. 1966.
- 8/ ميشال زكريا: الألسنة التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع بيروت، ط 1، 1982.

- (1) مارك ريشل: اكتساب اللغة، ترجمة كمال بكداش، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان ط 1934/1404، ص 11.
- (2) روي سي هجمان: اللغة والحياة والطبيعة البشرية، تقديم داود حلمي السيد، عالم الكتب، القاهرة، ط 1420 هـ/2000م، ص 38.
- (3) حفيظة تازورتي: اكتساب اللغة العربية عند الطفل الجزائري، دار القصبه للنشر، الجزائر، 2003، ص 51 - 52.
- (4) المرجع السابق، ص 45.
- (5) المرجع نفسه، ص 46.
- (6) المرجع نفسه، ص 46.
- (7) المرجع السابق، ص 46.
- (8) ميشال زكريا: الألسنة التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (النظرية الألسنية) ص 51.
- (9) حفيظة تازورتي: اكتساب اللغة العربية عن الطفل الجزائري، ص 56 - 57.
- (10) المرجع نفسه، ص 57.
- (11) خليل حلمي: دراسات في اللغة والمعاجم، ص 65.
- (12) حفيظة تازورتي: اكتساب اللغة العربية عند الطفل الجزائري، ص 58.
- (13) خليل حلمي: دراسات في اللغة والمعاجم، ص 66.
- (14) حفيظة تازورتي: اكتساب اللغة العربية عند الطفل الجزائري، ص 63.
- (15) المرجع نفسه، ص 63.
- (16) المرجع نفسه، ص 64.
- (17) كريمان بدير: الأسس النفسية لنمو الطفل، ص 78.
- (18) المرجع نفسه، ص 79.
- (19) حفيظة تازورتي: اكتساب اللغة العربية عند الطفل الجزائري، ص 70.
- (20) المرجع السابق، ص 70.
- (21) المرجع السابق، ص 71.

(22) صالح عبد العزيز / عبد العزيز عبد المجيد: التربية وطرق التدريس دار المعارف مصر

ط1983ص51

(23) المرجع نفسه، ص 52.

(24) محمد المصطفى زيدان ومحمد السيد الشرييني: سيكولوجية النمو مكتبة النهضة

المصرية القاهرة ط1966ص12.

(25) مارك ريشل: اكتساب اللغة – ترجمة كمال بكاش، ص 53.